مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٦٩ . العدد ٩٨ .

زرقاء اليمامة في الشعر العربي المعاصر

– الأسطورة والرمز –

دكتورة / أميرة محمد سيرانك

الملخص باللغة العربية:

إن شخصية زرقاء اليمامة تنتمى إلى حقبة موغلة فى التاريخ قبل الإسلام، وقد وردت قصة الزرقاء فى كتب التاريخ ، والأخبار ، والأدب، والأمثال، كذلك يشرح خبرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان عندما يصل إلى بلدتها " اليمامة " ، وتشترك الأخبار فى ذكر " زرقاء اليمامة " بأنها كانت امرأة تتميز بدقة الإبصار ، وبحدة البصر ، أكثر بكثير مما يتمتع به الإنسان العادى ، وقد سجل الشعر العربي القديم والحديث حضوراً فنياً لزرقاء اليمامة ، إذ أورد بعض الشعراء الصفات الغريزية لهذه الشخصية العربية القديمة.

الملخص باللغة الإنجليزية:

The character of Azraq al-Yamamah belongs to an early era in history before Islam. "She was a woman with far more vision and sharpness than a normal human being. Old and modern Arabic poetry recorded an artistic presence of the blue of Yamama. Some poets cited the instinctive qualities of this ancient Arab character.

تتجه بعض الآراء فى الغرب إلى تعميم فكرة صمت المرأة فى العصور الوسطى ، وهذا الرأى لا ينطبق على وضع المرأة العربية في الجاهلية والإسلام، بدليل نسبة الكثير من النصوص الأدبية والتعليقات النقدية للنساء العربيات ، فى تلك الفترة المبكرة من الحياة العربية .

وكذلك ما صورته كتب الأمثال ، مما نُسب للمرأة . فإنه يحمل دلالات خاصة .تحول دون تعميم مقولة صمت المرأة فى تراثنا ، ويعد هذا من أوجه الإختلاف المهمة ، التى تميز بيئتنا العربية فى أزمنة محددة، عن بيئات أخرى معاصرة لها .

وممن ورد ذكرهن فى الأمثال المشهورة المتداولة ؛ زرقاء اليمامة . إذ ضربوا بها المثل فى حدة البصر ، فقيل " **أبصر من زرقاء** " ، و"**أبصر من زرقاء اليمامة** " .

وقد كانت الحكم والأمثال من مفاخر العرب ،لأنها فلسفة الحياة آنذاك ، وخلاصة خبرة السنين ، وطريق الاستقامة إلى المثل العليا [١].

وإن المتعمق لحكم العرب وأمثالهم الجاهلية ، ليخرج بفلسفتهم العلمية، الهادفة إلى حسن التعامل ، فى بيئه البادية .

وقد وردت— قصة زرقاء اليمامة — في كتب التاريخ والأخبار والأدب والأمثال، فقد ذكرها من المؤرخون القدامى : الطبري وابن الأثير والمسعودي. كما عرض لها جامعوا الأمثال : كالعسكري والميداني وأبي عبيد البكري وغيرهم ،كما يشرح ياقوت الحموي خبرها في (معجم البلدان) عندما يصل إلى بلدها أو مدينتها (اليمامة) .

أما ما يشترك فيه أصحاب الأخبار، فهو أنّ زرقاء اليمامة كانت امرأةً تتميّزُ بدقّة الإبصار، وبحدّة البصر، أكثرَ بكثير مما يتمتّع به الإنسان العادي، أي أنها تمتلك بصراً خارقاً يطوي المسافات والأبعاد ، حتَّى ذُكِرَ أنها ترى الراكبَ من مسيرة ثلاثةِ أيام ، أي أنَّ بمقدورها أن ترى من مسافة مئات أو آلاف الأميال .

---

[١] الجاحظ : البيان و التبين ، تحقيق عبد السلام هارون .– القاهرة ، ١٩٩٨ م .

وإضافةً إلى الرؤية عن بعد، فبمقدورها أن ترى الأشياء الصغيرة والدقيقة والمتداخلة، وتميّزَ بينها، وتعرف وتعرف عددها وتكوينها ،كما نلاحظ في الحكايات المتَّصلة بها ويروي الإخباريُّون قصَّتين اثنتين ؛ تتكرران بصورة متقاربة ، أولاهما : قصتُها مع سرب طيور كثير العدد مرّ بها ، وثانيتهما : قصتُها مع جيش الغزاة القادم إلى بلادها من بعيد .

زرقاء اليمامة في كتب الأمثال العربية:

وللأمثال أهمية كبيرة فى **تراث الأمة وحضارتها** ؛ إذ أنها تظهر مدى رقيها فى سلم الحضارة بالمقارنة مع الحضارات الأخري ؛ إذ أنها تكون خلاصة لتجاربها ، وعصارة فكرها ،كما أنها مرآة صادقة تعكس حياة الشعوب .

يقول **د. عابدين** : " والمثل النابع من صميم البيئة مرآة لها ، شأنه فى ذلك شأن سائر فنون الأدب الشعبي ، يصور نزعات الناس وعاداتهم فى التفكير والتعبير والجد واللهو جميعاً "[٢].

ويري **د. رمضان عبد التواب** : " الأمثال مرآة تنعكس عليها عادات الشعوب ، و سلوكها ، و أخلاقها ، وتقاليدها ، وهي معين لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع ، أو اللغة ، أو العادات عند أمة من الأمم [٣]" ؛ إذ هي " حكم الأمم والشعوب ، تبدو فيها نظراتهم إلي الحياة ، ومذاهبهم فى الأخلاق الفردية، والعلاقات الاجتماعية ،كما أنها تكشف عن جوانب شتي من حياتها اليومية ، وكثير من عاداتها ومعتقداتها ، وهي بهذا تفضل سائر الفنون الأدبية التي لاتستوعب هذه الامور كما تستوعبها الأمثال "[٤].

وقد وردت بعض الأمثال في "زرقاء اليمامة"، ومنها:

(١) " **أبْصَرُ من الزرقاءِ** "[٥]: واسمها اليمامة وبها سمي بلدها ، وهي من بنات لقمان بن عاد ، وقيل: هي من جديس . وقصدهم طسم فى جيش حسان بن تبع ، فلما صاروا بالجو – اسم لناحية اليمامة على مسيرة ثلاثة أيام – أبصرتهم ، وقد حمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ، **فقالت** :

أقسم بالله لقد دب الشجر أو حمير قد أخذت شيئاً تجر

فلم يصدقها قومها ، فقالت : أقسم بالله لقد أري رجلاً ينهش كتفاً ، فكذبوها ولم يستعدوا ، فصبحهم حسان فاجتاحهم . و أخذها فشق عينيها وإذا فيها عروق من الإثمد .

---

[٢] الأمثال فى النثر العربي القديم ، د . عبد المجيد عابدين ، مكتبة مصر، ١٩٦٥م ، ص ٦٧ .

[٣] مقدمة تحقيقه لكتاب الأمثال ، ص ٥ .

[٤] الأمثال العربية ، د.عبد المجيد قطامش ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٨، ص ٢٤٩ .

[٥] جمهرة الأمثال :٢٠٧/١ ، مجمع الأمثال ٣٠٩/١ ، المستقصي : ١٨/١ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، د.ت : ٢٧٦/١٠.

(٢) " **أحكم من الزرقاء** "[٦]: والزرقاء : زَرْقاُء اليمامة ، وكانت الزرقاء نظرت إلي حمام طائر ، عدده ست وستون ، وعندها حمامة واحدة، **فقالت:**

ليت الحمام ليه إلي حماميه

ونصفه قديه تم الحمام ميهْ

فتعجب العرب من صدق نظرها وفطنتها . وهي التي ذكرها النابغة في قوله :

واحْكمْ كَحُكمِ فَتاةِ الحيِّ إذْ نَظَرتْ إلى حَمامِ سراعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ[٧]

كما ورد ذكرها مع " الكحل" ويقال كَحَل عينه يَكْحَلُها ويكُحَلُها كَحْلاً ؛ فهي : مكحُولة و كَحِيل. وقد اكتحلت وتكحلت ، والكُحْل الاسم ، والمكُحلة : وعاء الكُحْل ، و الإثْمد : حَجَر الكُحْل، وقيل : وهو شئٌ يُشبِه الكُحْل وليس به . وكان من عادة النساء قديماً الاهتمام بالكحل والعناية بالعين ، وقد أكثرت الأمثال من ذكر زرقاء اليمامة ؛ فقالوا: " أبصر من الزرقاء " [٨] ؛ فعندما قتلت ، أُخذت فشُقَّ عيناها وإذا بها عروق من الإثمد " الكحل" ، وهذا يدل على شدة إهتمام بعض النساء بالكحل ؛ لأنه يجلو البصر ، ويزيدهن جمالاً .

زرقاء اليمامة فى الشعر العربى القديم:

وإذا كان **احتفال الشعراء بالمرأة** بدافع العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، فإن ثمة نموذجاً أنثوياً استرعي انتباه بعض الشعراء العرب ؛ ليتخذوا منه مثالاً أو نموذجاً ، يقيسون عليه بعض تجارب حياتهم ، مما يعني اختلاف نظرتهم إلي هذا النموذج الأنثوي ، عن نظرتهم السابقة للمرأة . وهذا النموذج الأنثوي هو "زرقاء اليمامة" ، هذه المرأة العربية التى احتفل بها النثر العربي، أيما احتفال عندما ضرب بها المثل فى حدة البصر[٩] .

وقد وردت **شخصية زرقاء اليمامة فى المصادر الأدبية والتاريخية** فى صفتين هما :

---

[٦] وفيه " أحكم من زرقاء اليمامة " ، جمهرة الأمثال ٣٤٢/١ ، مجمع الأمثال : ١٤٩/١ وفيه " من زرقاء اليمامة ، المستقصي : ٦٩/١ .

[٧] ديوان النابغة : ٢٣.

[٨] جمهرة الأمثال : ٢٠٧/١ . مجمع الأمثال : ٧٦/١ ، المستقصي : ١١/١ .

[٩] الميداني : مجمع الأمثال – تعليق نعيم زرزور ١٥٨/١ ، دار الكتب العلمية ، وانظر : الزمخشري : المستقصي فى أمثال العرب ١٨/١ ، ط ٢ ، ١٩٨٧م – دار الكتب العلمية ، و انظر : العسكري : جمهرة الأمثال – ضبط وتخريج: د / أحمد عبد السلام ومحمد سعيد بن بسيوني زغلول ١٩٦/١ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨.

أولاهما وصفها بالحكمة ورجاحة العقل ، وما يصحبه من الدهاء . حتى عدها أبو عمرو بن العلاء إحدي داهيتي العرب ، قال فى ذلك ((داهيتا نساء العرب هند الزرقاء ، وعنز اليمامة وهى زرقاء اليمامة))[١٠].

والثانية حدة البصر والقدرة على رؤية الأشياء من مسافات بعيدة ، فقد قيل إنها كانت تري الراكب أو الفارس من مسيرة يوم ، أو مسيرة ثلاثة أيام [١١]، وقد يكون فى الأمر بعض مبالغة ، لكننا لايمكن أن ننكر وجود أمثال هذه القوي أو الملكات لدى بعض الأشخاص دون غيرهم ، والأمر فى شأن الإبصار مرتبط بالفراسة وصدق التخمين ودقة التوقع ، وهي كلها صفات كانت موجودة لدى زرقاء اليمامة .

وربما كان الشعر أسبق من النثر التاريخي والأدبي ، فى ذكر هذه الخصال الغريزية عند زرقاء اليمامة .وهذا ليس بالغريب على الشعر العربي ، الموصوف بأنه ديوان العرب وسجل مآثرهم ومفاخرهم ، وسارد أيامهم وحروبهم . وهذا السرد وذاك التسجيل قد بدأ مع شعراء الجاهلية ، الذين كانوا أسبق فى الوجود التاريخي من المؤرخين وغيرهم ممن عرضوا لزرقاء اليمامة ، واستمر هذا التسجيل لها فى العصور الإسلامية، ثم سجل الشعر العربي المعاصر حضوراً فنياً كبيراً لهذه الشخصية العربية القديمة.

وما بين الأصالة والمعاصرة ، أو التراث والحداثة فقد اختلفت طريقة التوظيف الفني لشخصية زرقاء اليمامة في بنية القصيدة الشعرية. وكذلك المفارقة بين التوظيف التراثي والحداثية .

ولا شك أن طبيعة التوظيف مرتبطة بطبيعة الثقافة السائدة ، والسياقات التى ورد فيها الحديث عن الشخصية التراثية.

ويرى **الدكتور خليل حاوي** أن الأساطير التى يستخدمها الشعر الحديث – باعتبارها معطي من معطيات التراث – ((تمكن الشاعر من دمج الذاتي بالموضوعي ، ومن ثم التعبير عن التجارب الكلية الشاملة))[١٢].

" كما حاول الشعراء المعاصرون علي المستوي التطبيقي محاولة توفير المعادل الموضوعي، لتجاربهم الشعرية .

---

[١٠] الجاحظ : البيان والتبين – تحقيق عبد السلام هارون ٣١٣/١ ، ط٧، ١٩٩٨ م – الخانجي– القاهرة.

[١١] ابن قتيبة : المعارف – تحقيق : د/ ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط٤، ١٩٨١م .

[١٢] د . خليل حاوي : من حديث مجلة المعرفة . العدد الخامس ، ص ١٦٤ .

وكذلك احتفظوا فى شعرهم غير المسرحي بعنصر قصصي درامي ، وبنوا كثيرًا من أشعارهم علي إشارات تاريخية وأسطورية ، ساعدت على توضيح بنائه الموضوعي ، وجعلت منه قالباً فنياً ، موازياً لما يشير من موضوعات ولما يحيي من أساطير "[١٣].

ولقد كانت هذه النزعة إلى تحقيق البعد الموضوعي والدرامي للقصيدة العربية المعاصرة ، عاملا من أهم العوامل ، التى حدت بشعرائنا إلى استدعاء الشخصيات التراثية فى شعرهم .

- زرقاء اليمامة فى الشعر العربى المعاصر:

لقد مثلت زرقاء اليمامة فى شعرنا العربي المعاصر تراثاً تاريخياً ، كما كانت الشخصية من أوفر الشخصيات التراثية اهتماماً من الشعراء المعاصرين ، ومن أشهر شعرائنا المعاصرين الذين أولوا " الزرقاء " اهتمامهم ؛ **أولاً** : الشاعر عز الدين المناصرة ، فى قصيدته " زرقاء اليمامة " . **ثانياً** : الشاعر أمل دنقل ، فى قصيدته " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " . **ثالثاً** : كما استخدمها الشاعر / خالد محي الدين البرادعي فى قصيدته " زرقاء اليمامة "[١٤].

يقول :

أطبقي عينيك يا زرقاء
إني فيهما
وأريني كيف أبصرت الشجر
راكضاً نحو اليمامة
عبر آلاف الفراسخ
كأن أرض الحب ينمو في ثراها الجوع
وتذبل الحروف
والماء يغلي والأزاهير –أرى– كأنها السيوف
رأيت السيف يفتتح المواسم المحتجبة

---

[١٣] استدعاء الشخصيات التراثي في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري ، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص ٢٢ .

[١٤] الغناء بين السفن التائهة خالد محي الدين البرادعي ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٨٢ م ، ص ١١.

ويذبح الشمس ليستريح حاكم

كيف يصير الخـــوف

عطرا لكـــــل أنف [١٥]

وكان وجود تلك الشخصية الأسطورية التاريخية فى شعرهم بهدف إبراز دور الشخصيات النسائية التاريخية ، التى تحمل خصائص الرؤية ، حين لا تُصَّدق نبوءاتها .

فقد تجلت هذه الشخصية لدي الشعراء ، للتركيز على ما كان لدي الزرقاء من مقدرة على التبصر ، أو الرؤية للأشياء القريبة والبعيدة .

رابعاً : الشاعر محمد الشحات ، فقد وردت لديه مشاهد من أسطورة زرقاء اليمامة ، حيث يسجل مذكرات أحد معاصري الزرقاء ، **يقول**[١٦] :

أخبرتني بأن الزمن الذي سوف يأتي

سيلتهم فيه المرء ذراع أخيه

و رأســـــه

– إن ذباب القمامة سوف يحاكم كل الطيور

وإن الخنازير تأكل لحم الرجال [١٧]

خامساً : الشاعر محمد عيد الخطروي ، فقد وظف تلك الشخصية ترتبط بالخلاص من القعود والتقاعس ، **يقول**[١٨] :

ما الذي أطفأ في عيني تواريخي

وألقى بالنفايات بوجـــهي

فاحتمى يومي بأمـــــسي

وتـدثـــرت بنفـــسي

وشكا بعضي لبعـــــضي

---

[١٥] المرجع السابق ، ص ١٢ .

[١٦] محمد الشحات ، عندما تدخلين دمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م ، ص ٥٨ .

[١٧] المرجع السابق ، ص ٦٠.

[١٨] محمد عيد الخطراوي ، تأويل ما حدث ، منشورات نادى المدينة المنورة الأدبي ، ١٩٩٧ ، ص ٥١.

ما الذي أطفأني عند الصـــباح ؟
لست أدري .....!
غير أني أتشهى قطرة الماء بدجلة
وفطيرا عند زرقاء اليمـــامة

ـ " زرقاء اليمامة " في شعر عز الدين المناصرة[١٩]:

ولعل أول من استدعي زرقاء اليمامة في صيغة ((**التعبير بالموروث**)) من بين شعرائنا المعاصرين هو الشاعر الفلسطيني **محمد عز الدين المناصرة في** قصيدته ((**زرقاء اليمامة**)) وفيها يرمز بالزرقاء إلى هذه القوي التي تنبأت بالأخطار قبل وقوعها ، ولم يصغ أحد إليها وكانت النتيجة الدمار للجميع :

قلتِ لنا إن الأشجار تسير
تقفز .. تركض في الوديان
في اليوم التالي يا زرقاءْ .....
كـان الجيش الســفاحْ
ينحر سكــان البلدة في عيد النحر
قلعوا عين الزرقاء الفلاّحـــــهْ

---

[١٩] هو الدكتور محمد عزالدين عبدالقادر المناصرة (الأردن) ، ولد عام ١٩٤٦ في بني نعيم – الخليل – فلسطين . و حصل على الليسانس من كلية دار العلوم – ١٩٦٨ بالقاهرة، والماجستير من جامعة صوفيا ببلغاريا، والدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة صوفيا ١٩٨١ .

عمل مديرًا للبرامج الثقافية في الإذاعة الأردنية، وسكرتير تحرير مجلة (شؤون فلسطينية)، ومدير مدرسة أطفال تل الزعتر، ومسؤولا في مجلة (فلسطين الثورة)، وأستاذ الأدب المقارن في جامعتي قسنطينة وتلمسان ، ثم رئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة القدس المفتوحة بعمان.

وشغل منصب الأمين العام المساعد للرابطة العربية للأدب المقارن منذ ١٩٨٤، وعضو الجمعية الدولية للأدب المقارن.

والشاعر من مؤسسي الحداثة الشعرية في فلسطين.

– وقد ترجمت أشعاره إلى الانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية، والروسية، والبلغارية ، والبولونية، والسويدية، والتركية/ معجم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ج٥ ، ص ١: ٤ .

خلعوا التينَ الأخضرَ مِنْ قلبِ الساحةْ

ففي هذه القصيدة يتجلى حضور زرقاء اليمامة ، " بيد أننا ندرك أنها الزرقاء العصرية المستدعية للزرقاء التراثية بواسطة مقول القول: « إن الأشجار تسير تركض في الوديان»، وهو القول المرتبط بزرقاء اليمامة في قصتها التراثية المعروفة . ثم نجد التصريح بلقب فتاة جديس: الزرقاء أو زرقاء اليمامة من خلال آلية النداء التي تستحضر الشخصية في مواجهة الشاعر، الذي يعمد إلى الانتقال الفجائي للحدث المشئوم"[٢٠].

كان الجيش السفاحْ

ينحر سكان البلدة في عيد النحر

قلعوا عين الزرقاء الفلاّحةْ

خلعوا التينَ الأخضرَ مِنْ قلبِ الساحةْ

إذ يذكِّر بما حدث لقوم الزرقاء على يد جيش حسان بن تبع . وهذه النقلة فجائية؛ لأن المناصرة تجاوز عن بعض الأحداث والتفصيلات المتعلقة بالإنذار والتنبيه للقوم، وعدم تصديقهم أو انتباههم لها، مقتنعًا بأن لغة القص الشعري « تنأى عن الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار»[٢١] لما تتميز به هذه اللغة من الإيجاز والتكثيف.

وفي المقطع الثاني من القصيدة نجد عز الدين المناصرة قد أبرزها في حالة حائرة ، متوجسة الخوف والحزن ، عندما يستدعي الموروث الشعبي : "**عيني الشمال ترف**". وهي ترف متوقعة حدوث الشر ، الذي كان قد حدث بالفعل ، **يقول** :

رفت عيني اليسرى.. شبّتْ نار

ورأيتك في الصورة.. تحت التوتة..

في ظل الدار

إلفك مدّ جناحيه.. توارى.. غابْ

ينقش أشعار الحزن على تفاحةْ

يأتي العفن المزمن يا زرقاء

---

[٢٠] زرقاء اليمامة – مقاربة متجددة فى الشعر العربي ، د . ياسر عبد الحسيب رضوان .

[٢١] الأسطورة فى الشعر العربي قبل الإسلام ، د . أحمد النعيمي ، سينا للدراسات والنشر ، طبع عام ١٩٩٥ ، ص ٣٠٨ .

يمحو من ذاكرتي.. صور الأحباب[٢٢]

وإذا كانت عينه اليسرى قد رفّت على هذا النحو ، من الاستدعاء للموروث الشعبي، فإنه وهو يترقب الأسحار مع الرفقة، ويصوغ قصائد العنب، ويكتب الأشعار، ويزرع شتلة التوت، ينسى ورفاقه أن عين الزرقاء قد فُقِئتْ ، **يقول** :

ومرّ الليل.. مرّ الليل يا زرقاء

وكنا نرقب الأسحارْ

نصوغ قصائد العنب المعرش في روابينا

ونكتب أصدق الأشعارْ

ونزرع شتلة التوت...

فسيلاتٍ تمدّ العنق تحضنها سواقينا

نبلّ الريق.. يطفي كلنا جوعه

ولكنا..

ولكنا..

نسينا أنّ عين الحلوة الزرقاء مخلوعهْ

وأنّ الراية الأخرى على الأسوار مرفوعهْ[٢٣]

ولعل الراية الأخرى أن تكون راية العدو الإسرائيلي ، الذي غصب الأرض ، وقتل ، وسرق ، ونهب الخيرات: العنب والتوت، وفقأ عين الزرقاء ، التي ترمز إلى الأرض الطيبة الحب الأول للشاعر.

وكل هذه الجرائم التي اقترفها العدو الإسرائيلي ، كانت هذه المحبوبة قد تنبأت بها، وأخبرت القوم ، لكنهم غفلوا عنها. فجنوا عاقبة غفلتهم، كما جنت هي عاقبة التحذير بفقء العين.

الرمز :

وإذا كان عز الدين المناصرة قد زاوج بين الموروث الأسطوري والشعبي، وربطهما بالأرض الطيبة ، وخيراتها الطبيعية ، والنبوءة بما تخبئه الأيام .

---

[٢٢] عز الدين المناصرة ، ياعنب الخليل ، ص ٣١ .

[٢٣] المرجع السابق ، ص ٣١-٣٢ .

– فقد استخدم فى قصيدته " زرقاء اليمامة " " رمزًا كلياً ، شمل كيان القصيدة ، ومصدر إشعاع تكويني " [٢٤]**في قوله** :

تتدلى أشجار التين على الحيطانْ الشرقية
نتلقى الدرس الثاني
تحت الضاحية النيسانية
نكبر، نهجر ساحة ظل الحانوت
نحلم بالشرنقة المنسوجة من أوراق التوت
لكن يا جفرا الكنعانية
قلت لنا إن الأشجار تسير على الطرقات
كجيش محتشد تحت الأمطار
أقرأه سطراً سطراً رغم التمويه
لكن يا زرقاء العينين ويا نجمة عتمتنا الحمراء
كنا نلهث في صحراء التيه
كيتامى منكسرين على مائدة الأعمام
ولهذا ما صدقِك سواي.

فالشاعر قد جعل زرقاء اليمامةً عنواناً كاملا لمأساته الفلسطينية ، " فزرقاء اليمامة فتاة فلسطينية مستمدة من الأغاني الشعبية الفلسطينية الجماعية التي ترافق الدبكة وهي جفرا " [٢٥].

فالمأساة هنا ليست في الوقائع ولكنها في بنية العقل العربي على مدى الأزمنة المتعاقبة ، والبناء الفني الذي يعادل هذه الفكرة هو استرفاد شخصية الزرقاء وأقوالها وكل سماتها، و " **جفرا الكنعانية** " زرقاء اليمامة أنثى واحدة ، تنبئ قومها عن رؤيتها للخطرالقادم فلم يصدقوها ، فوظيفة زرقاء اليمامة أو الفعل الذي تقوم به هذه الشخصية في مسارالنص الأسطوري متمثل في فعل الرؤية (بصري و غير بصري) ،

---

[٢٤] شعرية النبوءة بين الرؤية والرؤيا – تجليات زرقاء اليمامة فى الشعر العربي المعاصر ، د. محمد مشعل الطويرقي ، ص ٢٢٧.

[٢٥] المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

و في هذه الوظيفة يتعلق كل من النصين الشعري والأسطوري "[٢٦] . وتتماهى "جفرا" و"الزرقاء" في المصير أيضاً، حيث تدفع كل منهما الثمن بفقد عينيها :

في اليوم التالي يا زرقاء

قلعوا عين الزرقاء الفلاحة .

وبهذا يكون الشاعر قد نجح في استدعاء شخصية الزرقاء ، لتكون القلب الذي يوزع الدماء على شرايين وأوردة القصيدة ، لتصبح قصة معاصرة.

" زرقاء اليمامة " في شعر أمل دنقل[٢٧] :

لقد عاصر أمل دنقل عصر أحلام العروبة والثورة المصرية ، مما ساهم في تشكيل نفسيته ، وقد صدم ككل المصريين بانكسار مصر في عام ١٩٦٧م، وعبر عن صدمته في ديوانه" البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" الصادر عام ١٩٦٩م الذي جسد فيه إحساس الإنسان العربي بنكسة ١٩٦٧م، وأكد ارتباطه العميق بوعي القارئ ووجدانه.

ولقد نجح ((**أمل دنقل**)) في أن يجعل من شعره أدب مقاومة ، يوعي الجماهير، و يطرح الأخطاء النابعة من الداخل ، و يرد العدوان القادم من الخارج .

تَكَلَّمِي أَيَّتُها النَّبِيَّةُ المُقَدَّسَةْ

لا تُغْمِضي عَيْنَيك ، فالْجرْذَانْ

تلْعَقُ مِنْ دَمِي حِسَاءَها .. ولاَ أَرَدُّها !

تَكَلَّمِي .. لَشَدَّ مَا أَنا مُهَانْ .. !!

لاَ اللَّيْلُ يَخْفي عَوْرتي .. وَلاَ الْجُدْرانْ !

---

[٢٦] المرجع السابق ، ص ٢٢٩.

[٢٧] هو محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل. ولد أمل دنقل عام ١٩٤٠م في أسرة صعيدية بقرية القلعة ،مركز قفط على مسافة قريبة من مدينة قنا في صعيد مصر، وقد كان والده عالماً من علماء الأزهر الشريف مما أثر في شخصية أمل دنقل وقصائده بشكل واضح.

سمي أمل دنقل بهذا الاسم لأنه ولد بنفس السنة ، التي حصل فيها والده على إجازة العالمية ، فسماه بإسم أمل تيمنا بالنجاح الذي حققه (واسم أمل شائع بالنسبة للبنات في مصر) .

ولا اخْتبَائِي في الصَّحِيَفةِ التي أَشُدُّهَا

وَلَا اْحِتَمائِي فِي سَحَائبِ الدُّخَانْ ![٢٨]

فالحرب حرب وجود ، والنكسة كانت خسارة لمعركة ، ضمن حرب طويلة، تخوضها الأمة العربية ضد أعدائها ، فى الداخل والخارج ، قصد البناء والتشييد .

ويقول:

ساعة أن تخاذل الكماة والرماة والفرسان

دُعِيتُ للميدان!

أنا الذي ما ذقت لحم الضان

أنا الذي لا حول لي أو شان

أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان

أُدعى إلى الموت ولم أُدْعَ إلى المجالسْ

نرى أن هناك تشاكلاً دلاليّا بين شخصية الجندي العصري وشخصية عنترة التراثية، من حيث إن كُلاً منهما شخصية مأزومة تزيدها المشاهد المحيطة أزمة وحزنًا، الهزيمة المادية والمعنوية التي مُني بها الأول في يونيو ١٩٦٧م وجراحه ودماؤه، وصور إخوانه القتلى، وصور أبنائهم التي يحملونها، وإنكار الأهل حرية الثاني وحقه الطبيعي في ممارسة الحياة، محروم من مجالسة الفتيان محكوم عليه بالنوم في حظائر النسيان؛ لأنه عبدٌ لا يحسن الكرّ والفرّ وإنما يُحسن الحلب والصَّرّ، بيد أن كليهما في قرارة النفس بطل، لم تحسن القبيلة توظيف بطولة الثاني واحترامها، مثلما لم تقدر القيادة بطولة أبنائها بانغماسها في كل ما هو بعيد عن مصلحة الوطن.

وإذا كان أمل دنقل قد شاكل بين شخصية الجندي المعاصر، وشخصية البطل التراثي، أمام صاحبة النبوءة والرؤية المستقبلية "زرقاء اليمامة" ، التي يرمز بها إلى الوطن. مثلما استدعى شخصية عنترة ، ليرمز بها إلى المثقفين المصريين الذين فرضت عليهم السلطة المصرية الصمت/الخرس، مثلما قيل لعنترة التراثي: إخرسْ، فإنه لا يقنع بهذا التشاكل التراثي/العصري، وإنما يستعين بشخصية تراثية تتشاكل وشخصية "زرقاء اليمامة".

---

[٢٨] البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، ص ١٢٢ .

وهذه الشخصية التراثية هي "**الزباء**" ملكة تدمر [٢٩]التي يستدعيها بآلية القول عندما يُضمن على لسان عنترة مقولتها «**ما للجمال مشيها وئيدا؟!!**»

يقول أمل :

تكلمي أيتها النبية المقدسةْ

تكلمي.. تكلمي..

فها أنا على التراب سائلٌ دمي

وهو ظمئٌ يطلب المزيدا

أسائل الصمت الذي يخنقني:

«ما للجمال مشيها وئيدا..؟!»

«أجندلاً يحملنَ أم حديدا..؟!»

فمنْ تُرى يصدقني؟

أسائل الرَّكَعَ والسجودا

أسائل القيودا

« ما للجمال مشيها وئيدا..؟! »

«ما للجمال مشيها وئيدا..؟!»

كذلك فإنه من الممكن أن نلمح مثل هذا التشاكل بين الشخصيات الأربع التي وظفها أمل دنقل في هذا النص الشعري: الجندي المعاصر– عنترة التراثي ومعادله العصري/جماعة المثقفين– زرقاء اليمامة– ثم الزباء، " [٣٠]حيث تتشاكل جميعها مع الأنا الشاعرة التي تعرضت لصنوف من المعاناة تستدعي حالة الجندي العائد من المعركة وقد نجا من الموت، وهذه الأنا تحمل من الشجاعة والبطولة ما يمكن التماسه في

[٢٩] زرقاء اليمامة : مقاربة متجددة فى الشعر العربي ، مجلة الرافد ، د . ياسر عبد الحسيب رضوان ، الشارقة ، ٢٠١٤ م ، ص ٧ .

[٣٠] زرقاء اليمامة : مقاربة متجددة فى الشعر العربي ، مجلة الرافد ، د . ياسر عبد الحسيب رضوان ، الشارقة ، ٢٠١٤ م ، ص ٨ .

الجذور الصعيدية التي ينتمي إليها صاحبها، والبطولة والشجاعة وما تستدعيان من الجرأة وجدناها عند عنترة التراثي، وهذه الأنا متنبئةٌ إذ تنبأت من قبلُ بوقوع هزيمة يونيو ١٩٦٧م ولم ينتبه إليها أحد" .

إن هذه القدرة الفنية على المزج بين الرموز التراثية والإفادة من مدلولاتها الترميزية في سياق النص الشعري وما تستدعيه من المعادلات الموضوعية المعاصرة، التي كانت الهمّ المقعد المقيم للشاعر، جعلته لا ينسى المواءمة الفنية بين رمز الزرقاء التراثية ومعادلها المعاصر وهو الوطن بأبنائه . وقد ذاقوا مرارة الهزيمة والذلة والهوان، وما ترتب عليها من المآسي ".

فيخاطب الشاعر الزرقاء التي يصفها بالنبية المقدسة قائلاً :

أَيَّتُها الْعَرَّافَةُ الْمقَدَّسَهْ ...

ماذَا تُفِيدُ الْكلِمات البائسَةْ

قلتِ لَهُم ما قُلْتِ عَنْ قَوافل الْغبَارْ

فأَتَهموا عينَيكِ، يا زرقاءُ، بالْبَوَارْ

قُلْتِ لَهُمْ مَا قُلْتِ عن مَسِيرة الأشْجَارْ

فاسْتضْحَكُوا مِنْ وَهْمِكِ الثرثَارْ !!

وَحيَن فُوجِئوا بحدَّ السَّيْف : قَايَضُوا بنا

وَنَحْنُ جَرْحَى الْقَلْبِ

جَرْحى الروحِ والفم

لَمْ يَبْقَ إلاَّ الَمْوتُ

والحطامُ

والدَّمارْ

وَصِبْيَةٌ مُشَّردُون يَعْبُرون آخِرَ الأنْهَارْ

وَنِسوةٌ يُسَقْنَ في سَلاسِلِ الْأَسْرِ

وفي ثيابِ الْعَارْ

مُطَأْطِئَاتِ الرأْسِ لا يَمْلكنَ إلاَّ الصَّرَخَاتِ البَائِسَةْ

لقد كان الكشف عن عورات المجتمع محورًا رئيسًا ، من محاور التجربة الشعرية ، عند أمل دنقل .

وقد أضفي اللجوء إلى الشخصيات التراثية فى القصيدة جملة من المقومات المشتركة فى خطوطها العامة ، بالإضافة إلى الصوت الذي يخرج علينا متلوناً برداء عنترة بن شداد فى القصيدة " فيبدو للمتأمل فى بنيه القصيدة تخلص الشاعر من العاطفية ونزوعه إلى شئ من الموضوعية وتوظيف الشعر لخدمة قضية أمته السياسية والاجتماعية ، كما تعكس القصيدة سعة ثقافة الشاعر ، ودقة تعامله مع الرموز التاريخية"[٣١].

أثر الرمز فى بنية قصيدة " أمل دنقل " :

يعتبر" الرمز وسيلة إيحائية ، من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر ، عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية ، يثري بها لغته الشعرية ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة " [٣٢]ويتحقق الرمز الشعري باندماج مستويين رئيسين ، مستوي الصورة الحسية ، وهو الشكل الذي يكتنف المعني ومستوي الدلالة المعنوية ، الذي ينمو فى باطن الشكل الأول " ونتيجة لذلك يكون الوقوف عند الصورة المادية للرمز عملية دقيقة حتي تتمكن من الإيحاء بتلك المعاني التى قصد الشاعر إبرازها وهكذا يلتحم الرمز بالدلالة المكتسبة ويذوب كل منها فى الآخر "[٣٣] .

– لقد وجد " أمل دنقل " فى التراث العربي الأسطوري بغيته ، فحظيت شخصية زرقاء اليمامة بالحضور، حاملة دلالتها الأساسية ، والمتمثلة فى القدرة على التنبؤ وكشف الخطر قبل وقوعه ، لقوم لا يصغون إلى تحذير،فيكون الدمار .

فأَتَهموا عينَيكِ، يا زرقاءُ، بالْبــوَارْ
قُلْتِ لَهُمْ مَا قُلْتِ عن مَسِيرة الأَشْجَـارْ
فاسْتضْحَكُوا مِنْ وَهْمِكِ الْثرثَــارْ !!.
وَحيَن فُوجئوا بحدَّ السَّيْف : قَايَضُوا بنا
وَنَحْنُ جَرْحَى الْقَلْبِ
جَرْحى الروحِ والفم

---

[٣١] الرفض والتجاوز فى شعر أمل دنقل ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة –كلية الآداب والعلوم الانسانية – الجمهورية الجزائرية – الباحث على الرحماني ، ٢٠٠٢-٢٠٠٣ م ، ص ٢٢ .

[٣٢] على عشري زايد عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ١٠٨ .

[٣٣] الرفض والتجاوز فى شعر أمل دنقل ، على الرحماني ، ص ٢٣ .

لَمْ يَبْقَ إلاَّ المَوْتُ

والحطامُ

والدَّمارْ[٣٤]

كما عمد الشاعر إلى عدة تقنيات فنية ، لتكثيف الجو الأسطوري داخل القصيدة ، فقد عمد إلى التوحيد بين الجندي بعد أن خابت آماله فى النصر وبين زنوزيا أو الزباء ملكة تدمر ، فكان توظيفه لقولتها الشهيرة :

((مَا لِلْجِمالِ مَشْيُها وَئيدَا .!؟))

((أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أم حَديدًا.!؟)) [٣٥]

* موقف الشاعر من الشخصية :

لقد اتخذ " أمل دنقل " من الشخصيات التراثية التى استخدمها فى شعره واحداً من المواقف الثلاثة التالية " إما أن يتحد بها فيتخذ منها قناعاً ، يبث من خلاله صوته وأفكاره ، ويسيطر آنذاك ضمير المتكلم على النص الشعري ، و إما أن يحاورها فيستخدم ضمير المخاطب ، أو يتحدث عنها بصيغة ضمير الغائب " [٣٦].

فَمنْ تُرِي يَصْدُقُنِي .؟

أسَائِلُ الرِّكَّعَ والسُجُودَا

أُسَائِلُ القُيودا ...

((مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُها وَئيدًا ؟!))

((مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُها وَئيدًا ؟!)) [٣٧]

---

[٣٤] البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، ص ١٢٤ .

[٣٥] ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، أمل دنقل، ص ١٢٤ .

[٣٦] الرفض والتجاوز ، ص ٤٢ .

[٣٧] البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، ص ١٢٤ .

وهكذا لم يكن اللجوء إلى هذه الوسيلة من باب الإضافة الشكلية ، و إنما كان أداة ضرورية ، تلقي الضوء على ما يعتمل فى نفس البطل من إحباط، لا تفي كلمات بتصويره ، و إلا إذا كانت نابعة من صاحب التجربة .

يقول د . علي عشري : ((يستغل الشاعر ببراعة بعض التكنيكات السينمائية كأسلوب المونتاج، حيث يورد – على لسان الجندي الرواية الشاهد – مجموعة من اللقطات المتتأثرة ، التى تكون فى مجموعها صورة متكاملة للميدان الواقعي للمأساة ، وهو يركز على اللقطات الإنسانية التى تترك فى الوجدان – على بساطتها– أعمق الأثر و أقواه بفداحة المأساة))[٣٨] فاللقطات التى يختارها هي : ((ساعده المبتور وهو ما يزال متشبثاً بالراية المهزومة)) –كناية عن أنه لم يفرط فيها وظل مدافعاً عنها حتي النهاية.

– وتضم القصيدة **مشاهد إنسانية** وهي :

" صور أطفال رفاقه الشهداء والجرحي مرمية على الصحراء فى خوذاتهم" .

– وكذلك هذا المشهد:

" جاره الظمآن الذي يهم بإرواء ظمئه فيخترق الرصاص رأسه فى اللحظة التى يضع الماء فيها على فمه " " فم رفيقه الشهيد المحشو بالرمال والدماء " حيث يقص للزرقاء:

عن ساعدي المقطوعِ.... وهو (ما يزالُ ممسِكاً) بالرايةِ المُنكَّسَةْ

عن صور الأطفالِ في الخوذاتِ ... ملقاةً على الصحراءْ

عن جاريَ الذي يهُمُّ بارتشــافِ المـــــاء

فيثقبُ الرصاصُ رأسَهُ..... في لحظة المـــلامسة

عن الفمِ المــحشوِّ بالرمــال والدمـــاءْ

ويتحول الشاعر فجأة تحولاً آخر يبدو للوهلة الأولى منبت الصلة بالموقف السابق – موقف إحساسه المطارد بالعار – حيث نراه يتحدث عن طفلة حلوة " واسعة العينين .. عذبة المشاكسة . تتقافز حوله ، لا نلبث أن نعرف أن هذه الطفلة هي ابنة أحد رفاقه الذين استشهدوا ، نعرف ذلك عن طريق" تكنيك آخر من التكنيكات التى استعارتها القصيدة الحديثة من القصة الحديثة ، وهو تكنيك ((الارتداد))

[٣٨] استدعاء الشخصيات التراثية ، ص ٢٨ .

(الفلاش باك) عن طريق المونولوج الداخلي" [٣٩]، وفى هذا المونولوج يبرز الشاعر فى صورة إنسانية بالغة الرهافة ، مدي ما كانت تمثله هذه الصغيرة بالنسبة لأبيها الشهيد :

.. تقفز حَوْلِي طِفْلَةٌ واسِعَةُ الْعَيْنَينِ .. عَذْبَةُ الْمشَاكَسَةْ
كانَ يقُصُّ عَنْكِ يا صَغيرتي .. ونحنُ في الْخَـنَادِق ...
(فَنفْتحُ الْأَزْرَارَ في سُتـرَاتِنا .. ونَسْنِدُ الْبـــنَادِقْ
وحينَ مَـاتَ عَطـــشًا فِي الصَّحَراءِ المُشْمِسَهْ ..
رَطَّبَ باســـمْكِ الشَّـــفَاهَ الْـــيابِسَهْ
وارتَخَتِ الْعَيْنَانْ)

((و إلى هنا يبدو المشهد ما زال منبت الصلة بالموقف السابق ، ولكننا لا نلبث أن ندرك مدي الارتباط الوثيق بين الموقفين حين نكشف أن الشاعر ما ساق لنا هذا المشهد المؤثر إلا ليجسد من خلاله إحساس الراوية الذي سبق التعبير عنه بالعار ويزيده عمقاً)) [٤٠]؛ فهذا الوجه الضاحك البرئ يدينه بالهرب ، ويذكِّره برفيق سلاحه الذي آثر الشهادة بينما نجا هو ، حيث يتساءل فى أسي مدمر، بعد أن انتهي من مونولوجه :

فأيْنَ أُخْفِي وْجهيَ الْمُتَهَمَ الْمُدَانْ ؟
سَاعَةَ أَنْ تَخَاذَلَ الْكُمَاةُ .. والرماةُ .. والْفُرْسَانْ ..
دُعِيتُ لِلْمَيْدَانْ !
أَنَا الَّذِي ما ذُقْتُ لَحْمَ الضَّانْ ...
أَنَا الَّذِي لاَ حَوْلَ لِي ولَا شأنْ ...
أَنَا الَّذِي أُقصِيتُ عَن مَجَالِسِ الْفِتْيَانْ .. ،
أُدْعَى إِلَى الْمَوْت .. ولم أُدعَ إِلَى الْمجَالَسَهْ . !!

ثم يَسْتَنْجِدُ مرة أخري بالعرافة المقدسة، زرقاء اليمامة أن تجيره .. أن تشفي غليله ، بكلمة تفسر له هذا الهوان ، الذي كُتب عليه وعلى رفاقه .

تَكَلَّمِي .. تَكَلَّمِي

---

[٣٩] المرجع السابق ، ص٢٢٩ .

[٤٠] المرجع السابق ، ص٢٢٩ .

فَهَا أَنَا عَلَى الْتُرَاب سَائِلٌ دَمِي

وَهُوَ ظَمِئٌ .. يَطْلُبُ الْمِزَيَدا

أُسَائِلُ الصَّمْتَ الّذي يَخْنُقُني

((مَا للْجِمالِ مَشْيئها وَئيدَا .!؟))

((أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أم حَديدًا.!؟))

ويختم اللوحة بهذا التساؤل الرائع ، مستلهماً التراث مرة أخري ، حين استعار هذا البيت المشهور من شعرنا القديم :

((مَا للْجِمالِ مَشْيئها وَئيدَا .!؟))

((أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أم حَديدًا.!؟))

إشارة إلي توقف الزمن ، وتلكؤه و بُطْؤه ، كأنَّ في أقدامه حديد ، فحركة الأمة ، وحركة الفكر، والسعي إلي تغير الواقع الأليم ، والجاثم بكل وطأة ثُقْلَة حركة مَشْلُولة ثابته في مكانها ، لاحركة ولا حياة، لا ثورة ولا أمل .

وينهي اللوحة هذه المرة باستلهام آخر من التراث ، ولكن الاستلهام هذه المرة من القرآن الكريم حين يقول :

أُسَائِلُ الركَعَ والسُّجُودَا

أُسَائلُ القيودا

وهذه إشارة رمزية لما تعاني منه الغالبية العظمي من المجتمع ، التي هي مكبلة بالقيود راكعة ساجدة . فيومئ بها إلي الصمت الذي اضطُرتْ إليه الأفواه المكممة ، والأرجل المقيدة .

ثم يأتي المقطع الأخير من القصيدة ، ليكشف الشاعر فيه في ألفاظ موجعة النتائج الحتمية لكارثة حزيران و التي هزت الكيان العربي كله ، وأشعرته بالعار والفضيحة حين دخل رمح إسرائيل إلي هذا المدي من كبريائنا ، وحين سافر في أنسجتنا وأعصابنا ولا أ حد يسأله إلي أين ؟

يبدأ الشاعر المقطع الأخير بالعودة مرة أخيرة إلي العَّرافة المقدسة ، التي هي رمز المعرفة ، والرأي المحكم ، والنظر الصائب . والتي سبق لها أن وجهت الأنظار إلي الأخطار التي أحدقت بعالمنا العربي ، وحذرتنا وأنذرتنا ولكن أحداً لم يستمع إليها ولم يصدقها ، بل انصرفوا عنها وأهملوها ، واتهموا عينيها بالبوار ، وضحكوا من وهمها الثرثار ، وحين فوجئوا بحد السيف ألقوا بشعوبهم في أتون معركة خاسرة ، والتمسوا

لأنفسهم النجاة والفرار ، وتركوا شعوبهم جرحي القلب ، جرحي الروح والفم ، يطأطئون الرءوس ، لا يملكون إلا الصراخ ، الذي ملأ الحناجر بالندم و الأسي " .

وخلَّفَ عظامنا مطحونة و أحلامنا ضائعة .

وتنتهي القصيدة كما بدأت بزرقاء اليمامة ، التي ترمز إلي العين التي شَقَّت رؤيتها، وانكشفت بصيرتها. تنتهي القصيدة و إذا بزرقاء اليمامة وحيدة عمياء ، ويبقي الزيف يمرح في عرباته الفارهة ، وأزيائه الفاتنة .. ويظل التخبط في الظلام والجهل والتخلف، هو السائد .

وهذا ما ترمز إليه هذه النهاية حينما يقول في ختام القصيدة :

ها أَنْتِ يا زَرْقاءْ

وَحِيدةٌ ... عَمْياءْ

وَحِيدةٌ ... عَمْياءْ . .

الخاتمة

لقد ظلت قصة "زرقاء اليمامة" ماثلة فى الشعر العربى حتى عصرنا الحديث ، فدخلت الشعر المعاصر ، بوضعها رمزاً عربياً خالصاً ، ومن أمثلة توظيف رمز الزرقاء ما ورد فى قصيدة للشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة كتبها عام ١٩٦٦ م . وكذلك قصيدة الشاعر المصرى "أمل دنقل "كتبها إثر هزيمة ١٩٦٧م . ويُعد أول من استدعى زرقاء اليمامة من بين الشعراء المعاصرين ، هو الشاعر الفلسطيني "محمد عز الدين المناصرة " ، فى قصيدته " زرقاء اليمامة " . وفيها يرمز بالزرقاء إلى هذه القوى ، التى تنبأت بالأخطار قبل وقوعها ، ولم يصغ لها أحد ، وكانت النتيجة الدمار للجميع . ونجح " محمد عز الدين المناصرة " فى استدعاء شخصية الزرقاء ، لتكون القلب ، الذي يوزع الدماء على شرايين و أوردة القصيدة ، لتصبح قصة معاصرة .

وبعد النكسة عام ١٩٦٧ م كتب أمل دنقل " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " ، وهى القصيدة التى أطلق اسمها على الديوان . وكان يهدف منها تعرية الواقع . وقد نجح "أمل دنقل " فى تصوير لوحات من النكسة ، وكذلك صمود الإنسان العربي .

وخرجت هذه الدراسة الفنية ببراعة التقنيات الفنية فى القصيدة، كالتركيز على المشاهد الإنسانية التى تترك أعمق الأثر فى الوجدان .

وتعددت اللوحات المأساوية فى القصيدة ، ورغم ذلك فقد جسدت رؤية واحدة ، تشهد بعنف التجربة التى يحياها الشاعر ، معبراً عن آلام المأساة ، التى عانتها الأمة العربية .. وذلك بطاقة إبداعية فريدة .

المصادر والمراجع

١) الأساطير " دراسة حضارية مقارنة " ، د. أحمد كمال زكي ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م .

٢) استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربي المعاصر ، د. على عشري زايد ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٧م.

٣) الأسطورة فى الشعر العربي قبل الإسلام ، د. أحمد إسماعيل النعيمي ، دار سينا للنشر .

٤) الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و آخرون ، الهيئة العامة للكتاب، ط٢ ، ١٩٩٢م .

٥) أمثال العرب ، المفضل الضبي ، تحقيق د. إحسان عباس ، د.ت .

٦) الأمثال العربية ، د.عبد المجيد قطامش ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٨م.

٧) الأمثال فى النثر العربي القديم ، د . عبد المجيد عابدين ، مكتبة مصر، ١٩٦٥م .

٨) البيان و التبين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

٩) تأويل ما حدث ، محمد عيد الخطراوي ، منشورات نادى المدينة المنورة الأدبي ، ١٩٩٧ م .

١٠) تجربتي الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

١١) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

١٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (د.ت) .

١٣) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨٥م.

١٤) ديوان ياعنب الخليل ، عز الدين المناصرة ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨ م .

١٥) الرمزية فى الأدب العربي ، د / درويش الجندي ، دار نهضة مصر .

١٦) السردية العربية ، عبد الله ابراهيم ، بيروت ، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م .

١٧) الشعر العربي المعاصر : قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية ، د . عز الدين إسماعيل ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

١٨) الصورة الفنية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د.على البطل ، ط٢ ، ١٩٨١م.

١٩) العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ /١٩٩٩م .

٢٠) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت، ١٩٧٢م .

٢١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٢م.

٢٢) عندما تدخلين دمي ، " ديوان" محمد الشحات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م .

٢٣) الغناء بين السفن التائهة ، " ديوان"، خالد محي الدين البرادعي ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

٢٤) لغة الشعر الحديث – دراسة تطبيقية فى ديوان زرقاء اليمامة لأمل دنقل ، د . مصطفي رجب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أغسطس ، ٢٠٠٠م .

٢٥) مجمع الأمثال : تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م .

٢٦) المستقصَي فى أمثال العَرب ، لأبي القاسِم جَار الله مَحمُود بنْ عَمر الزمخشَري ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م .

٢٧) المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق : د/ ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط٤، ١٩٨١م .

٢٨) ياعنب الخليل ، ديوان شعرعز الدين المناصرة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠م .

ثانياً : الدوريات :

١) مجلة إبداع أكتوبر ، أمل دنقل شاعر اليقين القومي ، فاروق شوشه ، ١٩٨٣ م .

٢) مجلة إبداع أكتوبر ، أمل دنقل وأنشودة البساطة ، عبد العزيز المقالح ، ١٩٨٣م .

٣) مجلة الآداب البيروتية ، ديسمبر ، ١٩٦٦ و ألقيت فى الجمعية الأدبية المصرية فى شتاء ١٩٦٧، بحضور عدد من الشعراء المصريين ، من بينهم صلاح عبدالصبور و أمل دنقل .

٤) مجلة الرافد ، دائرة الثقافة والإعلام ، د / ياسر عبد الحسيب رضوان ، عدد شهر ٩، ٢٠١٤م، زرقاء اليمامة مقاربة متجددة فى الشعر العربي .

٥) مجلة جامعة أم القري ، شعرية النبوءة بين الرؤية والرؤيا، تجليات زرقاء اليمامة فى الشعر العربي المعاصر ، د. محمد مشعل الطويرقي ، ع٢ رجب ، ١٤٣٠هـ .

ثالثاً : الرسائل العلمية :

١) الرفض والتجاوز فى شعر أمل دنقل ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة – كلية الآداب والعلوم الانسانية – الجمهورية الجزائرية – الباحث على الرحماني ، ٢٠٠٢–٢٠٠٣ م .